

التجلي الفارقليطي في التراث الإسلامي

خالد محمد عبده
باحث مصري



قسم الدراسات الدينية

وردت كلمة الفارقليط في إنجيل يوحنا، وهو الإنجيل الرابع حسب الترتيب المعمول به في العهد الجديد، وإذا تمسك المسلمون بلفظة الفارقليط، باعتبارها معبرة عن النظرة التأويلية لآية سورة الصف، فإنهم بذلك يرفعون إنجيل يوحنا فوق الأناجيل الأخرى، ويعدونه؛ أي يوحنا، تلميذًا من تلامذة المسيح المباشرين، ويعدون النصوص المستشهد بها وحياً إلهياً، رواه لنا يوحنا واحتفظ به وصار مقيّداً مخلّداً أبد الدهر، على الرغم من ذكر خلافيات الترجمة للنص، وعلى الرغم من الخلاف القائم بين المسيحيين والمسلمين حول معاني الكلمة، فالإلام يشير ذلك؟

إذا كان القرآن الكريم يذكر أن المسيح عيسى بن مريم كان كلمة الله، والإنجيل الوحيد الذي يعتبر يسوع تجسيداً للكلمة (باليونانية Logos) هو إنجيل يوحنا (14/1) الذي يبتدئ بالحديث عن يوحنا بدلاً من يحيى، ثم ينتقل إلى الحديث عن يسوع⁽¹⁾ بدلاً من ابن مريم، وفي سورة الصف من القرآن وفي الآية السادسة أن عيسى بن مريم بشر بني إسرائيل برسول يأتي من بعده اسمه (أحمد)، والإنجيل الوحيد الذي يتحدث عما يشبه ذلك هو أيضاً إنجيل يوحنا (16/14، 26، 26/15؛ 7/16) في كلامه عن معزي أو فارقليط أو روح الحق أو روح القدس أو ألسنة نارية (Parakletos) وعد يسوع بمجيئه من بعده، فـ "يعلمكم كل شيء ويذكركم بما قلته لكم" (26/14).

ربما اعتمد العلماء المسلمون على ذلك، واعتبروا يوحنا من حواربي السيد المسيح عليه السلام، واعتبروا نصوصه الإنجيلية وحياً لم تمسه يد التحريف، فأقدم المصادر الإسلامية التي احتفظت لنا ببشارة يوحنا بالنبي محمد تعتبر يوحنا من الحواربيين⁽²⁾.

- وتُعد سيرة ابن إسحاق من أقدم المصادر الإسلامية التي روت نص بشارة يوحنا، والتي وصلت إلينا عبر تهذيب ابن هشام لها، قال ابن إسحاق: "وقد كان فيما بلغني عما كان وَضَعَ عيسى بن مريم فيما جاءه عن الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مما أثبت يُحَنَسُ الحواربي لهم، حين نسخ الإنجيل عن عهد عيسى بن مريم عليه السلام، في رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم أنه قال: من أبغضني فقد أبغض الرب، ولو لا أنني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحدٌ قبلي، ما كانت لهم خطيئة، ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يعزوني، وأيضاً للرب، ولكن لا بد من أن تتم الكلمة التي في الناموس: أنهم أبغضوني؛ أي باطلاً، فلو قد جاء المُنْحَمَّناً هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب روح القدس هذا الذي من عند الرب خرج،

(1) يذكر كمال الصليبي في "البحث عن يسوع" أن من وجوه الشبه بين "يسوع" [بالأرامية "يشوع"] و"عيسى" هو الاسم، إذا ما كُتِبَ بالأحرف اليونانية (الخالية من حرفي الشين والعين)، حيث يصبح من الممكن كتابة الاسمين مع لاحقة المذكر اليونانية للأسماء بشكل واحد هو Iesus. (ص 115 ط 1) دار الشروق، عمان سنة 1999م.

(2) راجع: سيرة ابن هشام (608/4 ط 2) الحلبي القاهرة سنة 1955 بعناية السقا وآخرين.

فهو شهيد عليّ وأنتم أيضاً، لأنكم قديماً كنتم معي في هذا قلت لكم: لكيما لا تشكوا.⁽³⁾ والمنحمننا (بالسريانية): محمد، وهو بالرومية: البرقّليطس صلى الله عليه وسلم".⁽⁴⁾

الأمور اللافتة للنظر في رواية ابن إسحاق لبشارة يوحنا:

1- تناقلَ المسلمون لنص البشارة في فترة مبكرة وقبل ابن إسحاق (85 - 151هـ) فمن الممكن أن تكون من مرويات ابن إسحاق عبر شيوخه الكبار، أمثال: عبد الله ابن أبي بكر بن حزم (ت 130هـ)، وعاصم بن عمر (ت 119هـ)، وابن شهاب الزهري (ت 124هـ)⁽⁵⁾، بل ربما عادت إلى ما قبل ذلك في عصر الرسالة وفي حياة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم؛ فشأنها شأن مرويات مسلمة أهل الكتاب، والتي تشير إلى صفة رسول الله في التوراة،⁽⁶⁾ وتؤكد هذه الاحتمالات عبارة ابن إسحاق في النص المروي: "فيما بلغني".

2- اعتبار ابن إسحاق سند النص متصلًا، وهو كما تصوره: عن يوحنا عن عيسى بن مريم عما جاءه عن الله، مما يُعد سندًا لديه، لصحة النَّصِّ المروي.

3- اعتبار إنجيل يوحنا نسخة من نسخ الأناجيل، مما يعني معرفة المسلمين لأناجيل مختلفة ونسخ مختلفة بحسب تلاميذ السيد المسيح، قد تكون هذه المعرفة مقصورة على المعلومة النظرية، ولم يتعد الأمر إلى مرحلة الاطلاع عليها، لكن هذا ينفي القول بأنهم لم يكونوا على دراية إلا بنسخة من الإنجيل، بصيغة المفرد، لا من الأناجيل.

4- موافقة النص المروي في معناه للنصوص الموجودة حاليًا في إنجيل يوحنا، مع اختلاف في نسق الصياغة، إضافة إلى ذكر اللفظة المعينة هنا في ترجمتها السريانية واليونانية: المنحمننا، والبرقّليطس.

كان ابن إسحاق إذن على وعي بقيمة النص الذي رواه، ورغم ما استتبطناه من أمور في روايته، فإننا لا نكاد نظفر برؤية تفسيرية لمقاطع النص كما حدث فيما بعد؛ لذا يجب علينا أن نتحول من الاهتمام بالرواية إلى الاهتمام بتفسير النص.

⁽³⁾ راجع: يوحنا (15/22 - 27، 1/16)

⁽⁴⁾ راجع: السيرة لابن هشام (232/1، 233)

⁽⁵⁾ راجع: عن شيوخ ابن إسحاق ومروياته: مقدمة سيرة ابن إسحاق ط معهد الدراسات والأبحاث للتعريب سنة 1976م بتحقيق: محمد حميد الله والمغازي الأولى ومؤلفها ليوسف هوروفتس ترجمة حسين نصار ط مصطفى الحلبي مصر سنة 1949م.

⁽⁶⁾ انظر نماذج من هذه المرويات في كتب دلائل النبوة وطبقات ابن سعد، ويروي نص ابن إسحاق السابق البلخي، في كتابه "البدء والتاريخ" 28/5، 29 على هذا النحو: "وقال ابن إسحاق في الإنجيل ما أثبت بحنس الحواري، حيث يسبح لهم من صفة النبي لا بد أن يتم الكلمة التي في الناموس فلو قد جاء المنحما بالسريانية محمدًا وبالرومية البرقّليطس" ويزيد: "وزعم العتبي أن محمدًا بالسريانية مشفح والله أعلم".

قدّم العامري⁽⁷⁾ ت 371 هـ تحليلاً لنص بشارة يوحنا، بعد اقتباس النص من ترجمة عربية عن اللسان السرياني، ووردت لديه كما يلي: "إن فارقليط روح الحق الذي يرسله أبي باسمي، وهو يعلمكم كل شيء" (يوحنا 14/26).

فاعتبر العامري هذه بشارة بالنبي محمد، صلى الله عليه وسلم، من وجهتين:

إحدهما؛ قوله: "روح القدس [روح الحق، كما أوردها في النص] الذي يرسله أبي باسمي".

الأخرى؛ قوله: "يعلمكم كل شيء".

فقدّم تفسيراً لمعنى الروح القدس ونسبة الأرواح الطاهرة إلى الله، واعتبر قول المسيح، روح القدس، أن المرسل الآتي يكون معه الروح القدس، ومحمد صلى الله عليه وسلم نزل عليه الروح القدس، وكان معه، ومحمد بُعث بالهدى ودين الحق، وبذا يتم معنى قول المسيح: "إنه مبعوث باسمي".

ومحمد، صلى الله عليه وسلم، أوقف الناس على الحق في توحيد الله وصفاته بالحجج والبراهين وفتح الأحكام الجامعة لهم مصالح الدارين، وعرفهم الآداب الحسنة والسياسية الفاضلة، وبذا يتم قول المسيح "يعلمكم كل شيء، إذ لا ينطبق ذلك إلا على محمد".⁽⁸⁾

على الرغم من اهتمام العامري بتحليل النعتين الواردين في البشارة، فإن تحليله شابه بعض من الغموض، إذ لم يناقش المعاني اللغوية للفظه الفارقليطي، واعتبرها وصفاً دقيقاً ينطبق على النبي محمد، ورغم تفرد علي بن ربّ الطبري بالتفسير الذي ذكره لمعنى كلمة (باسمي) ورغم غرابته، فإنه قدم رأياً واضحاً في تفسير اللفظة، على عكس العامري، فقد جمع بعضاً من الآيات التي تتحدث عن الروح في القرآن، وانتهى إلى أن المعنى المقصود هو الروح القدس، وهو مخالف للتأويل المسيحي للنص، إلا أن العامري اعتبر الروح القدس تكون في معية الشخص الآتي، لا الآتية نفسها، وبهذا يفترق عن التأويل المسيحي.⁽⁹⁾

(7) سبق العامري في إيراد مروية إنجيل يوحنا البلخي ت 340 هـ في البدء والتاريخ، إلا أنه اكتفى بذكر النص وحده، غير مشفوع بتحليل ودراسة كما فعل العامري، فأورد النص حسب نسخة أبي عبد الله المازني كالتالي نذكرها لأهميتها، حيث تختلف بعض الشيء عن نسخة الطبري: "قال المسيح عليه السلام للحواريين أنا أذهب وسيايتكم الفارقليطاً روح الحق الذي لا يتكلم من تلقاء نفسه، وهو يشهد لي بما شهدت له وما جئتمكم به سرّاً يأتيكم به جهراً. وقال إن الفارقليطاً روح الحق الذي أرسله أبي باسمي هو الذي يعلمكم كل شيء، وقال الفارقليط لا يحكم ما لم أذهب" السابق نفسه 28/5

(8) راجع العامري، الإعلام بمناقب الإسلام (ص 203، 206 - 208)

(9) عن مفهوم كلمة الروح في الكتاب المقدس راجع إبراهيم خليل "محمد في التوراة والإنجيل" ص ص 53-60

يجدر بنا إذن، أن ننتقل من القرن الرابع الهجري إلى القرن السادس، حيث نعثر هناك على تفسيرات ابن ظفر المهمة لنصوص الكتاب المقدس.⁽¹⁰⁾

وقد احتلت بشارة يوحنا نصيباً كبيراً من تفسيراته؛ فقد بدأ ابن ظفر بذكر نص يوحنا: "إن أحببتموني فاحفظوا وصيتي وأنا أطلب إلى أبي أن يعطيكم بارقليط آخر يكون معكم الدهر كله".⁽¹¹⁾

واعتبر ابن ظفر النص بمثابة تصريح بابتعاث الله لشخص يقوم مقام عيسى في التبليغ، وتكون شريعته باقية خاتمة ولا يتحقق هذا إلا في شخص محمد، صلى الله عليه وسلم.

ثم تعرّض ابن ظفر إلى شرح المعاني اللغوية لكلمة (الفارقليط، البارقليط)، وذكر أن النصارى مختلفون في معنى الكلمة، لكنه لم يذكر لنا تلك الاختلافات، ثم يرجح قولاً من أقوالهم واصفاً إياه بـ "الذي صحّ عندي"، واعتمد في ترجيحه على شخص مجهول، وصفه بـ "الحكيم الذي يعرف السر"، والمعنى: "الفارقليط؛ أي الرسول"، ثم يذكر ابن ظفر النصوص الأخرى من بشارات إنجيل يوحنا كتدليل على هذا المعنى، ثم يقوم بتفسير تلك النصوص.

"إن هذا الكلام الذي تسمعونه ليس هو لي، بل الأب الذي أرسلني، كلمكم بهذا وأنا معكم. فأما البارقليط روح القدس الذي يرسل أبي باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم جميع ما أقول لكم"⁽¹²⁾، ثم يتوقف ابن ظفر ليحلل لفظة (أبي)، والتي لا يرى حرجاً من إطلاقها على (الله)، إذ تستخدم اللفظة "إشارة إلى الله سبحانه عند أهل الكتابين" محاولاً أن يوفق بين إرسال (الله) وإرسال (الأب)، حتى يتم صرف النبوءة على شخص النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، دونما تعارض بين المعتقد الإسلامي فيما يجب تنزيهه الله عنه من مخالفة للحوادث.

ويتوقف ابن ظفر عند قول إنجيل يوحنا "الذي أرسل إليكم"⁽¹³⁾ "إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط، فإذا انطلقت أرسلت به إليكم" لكنه لا يُفندّ الجملة السابقة في تفسيره لتلك الفقرة، بل يكتفي بقوله: "وقوله: أرسلت به إليكم إن كان سالمًا من التحريف، فمعناه مثل معنى قوله: إن لم أنطلق لم يأتكم".

(10) يمثل كتاب ابن ظفر بخصوص البشارات بالنبي محمد قفزة مهمة في التراث الإسلامي، إذ هو الوحيد [فيما أعلم مما وصلنا من الكتب التي أفردت لتتبع البشارات والنبوءات بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم] الذي خصص للحديث عن البشارات بالنبي كمنبئ مستقل، فرّع عنه، ما جاء عن النبي في كتب الله، ما جاء منه على ألسنة الأحيار، ما جاء منه عن الكهان، ما جاء منه عن الجان، وقد كتب لمؤلف ابن ظفر ذبوع في عصره وبعد عصره فنجد الجعفري ينقل عنه وابن تيمية والبقاعي والنويري، وقد احتوى الكتاب في فصله الأول على تفسيرات مهمة لنصوص التوراة وكتب الأنبياء ونصوص من الإنجيل، ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية، هي التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة، راجع ذكر ابن ظفر في كتاب أدب الجدل والدفاع (ص 65، 66)، لموريتس شتينشيدر. ترجمة: صلاح عبد العزيز محجوب إدريس. مراجعة وتقديم: محمد خليفة حسن، ط المجلس الأعلى للثقافة مصر سنة 2005

(11) راجع: يوحنا (14 / 15)

(12) راجع: يوحنا (14 / 24 - 26)

(13) انظر التخجيل (ص 8 / أ)

ومن خلال هذا التتبع لما ورد من تحليل لنصوص إنجيل يوحنا عند ابن زفر، نجد اتساقاً عامّاً في محاولته لصرف النص بعد تأويله على شخص النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، إلا أنه يتقدم على الطبري بذكره لبعض اللغات الواردة في كلمة (فارقليط) كما سبق ذكره، وانفرد عنه الطبري بتأويله لكلمة (باسمي)، والذي أرسله، والتي تحمل إشكالية خاصة، سيتم تفسيرها لاحقاً عند الجعفري والقراقي وابن تيمية، وهو ما سيظهر في تتبعنا لمعالجة الجعفري لبشارة يوحنا بالنبي.

تفسير الجعفري لنصوص يوحنا:

يتناول الجعفري بشارات الإنجيل بالنبي محمد، صلى الله عليه وسلم، عقب تناوله لبشارات التوراة وكتب الأنبياء، فتأتي أول بشارات إنجيل يوحنا عنده البشرى التاسعة والستون⁽¹⁴⁾ في الباب العاشر "البشائر الإلهية بالعزة المحمدية"، إلا أننا قبل أن نعرض ما قدمه الجعفري هنا نشير إلى شيء مهم يبرز رؤية الجعفري لبشارات يوحنا. يصف الجعفري، يوحنا بأنه أصغر كُتّاب الأناجيل سناً،⁽¹⁵⁾ ويوهن بعض نقوله على أساس انفرد به، وعلى أساس تناقضها إذا ما قورنت بغيرها من أقوال الكُتّاب الأخر، ويُعلق في أحد المواضع على خبر ليوحنا قائلاً: "ولم يذكر ذلك سوى يوحنا، وأغفله الباكون، والإنجيل لا يثبت بخبر واحد، وكيف أغفله الأكابر من التلاميذ، وظفر به صبيّ واحد؟"⁽¹⁶⁾

إذا ضمنا هذا إلى ما يذكره الجعفري من انفردات يوحنا عن باقي كُتّاب الأناجيل بعد ذلك، "ومما انفرد به يوحنا: فصول الفارقليط، فلم ينقلها سواه وأغفلها الباكون، فلم يذكروا منها حرفاً، وذلك يقضي بالمطاعن عليهم، فلو وجدنا مصحفاً من مصاحف المسلمين قد أسقط منه سورة لأررنا على فاعله فكيف أن يهملها الكافة، ويثبتها واحد".⁽¹⁷⁾

بدا موقف الجعفري مشوباً بالاضطراب والتردد، إذ لا يحتكم إلى مقاييس معينة في قبوله للخبر أو رفضه تبدو ظاهرة للعيان، فمرة يعد انفرداته شذوذاً، وعلة تسقط عن الخبر قيمته، ومرة يعتبرها قاذحة في الجميع، وهو المنطق نفسه الذي يتعامل به الجعفري وينظر به إلى هذه الأخبار، يرفض تصديق خبر يوحنا، خاصة إذا ما اعتبرنا تلك الأوصاف التي وصفه بها الجعفري أنفاً.

ولأنه لا يعيننا الآن ثبوت الخبر أو عدم ثبوته بقدر ما يعيننا محاولة الجعفري لتفسير تلك الفصول الخاصة بالفارقليط سننتقل إلى تلك التفاسير.

(14) مرجع سابق (ص 701)

(15) انظر (ص 289)

(16) انظر (ص 299)

(17) انظر (ص 321)

* إجراءات الجعفري في تفسيره لفصول الفارقليط:

يورد الجعفري نص إنجيل يوحنا [26/14] "إن الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء"، ثم يُقدّم تحليلاً لغويًا لمعنى كلمة "فارقليط"، ويذكر أن هناك اختلافًا في تفسير لفظة الفارقليط عند النصارى، وذكر عدة معانٍ لها: (الحمّاد، والحامد، والمعزّ، والمخلص)، ورَجَّح أن يكون المعنى منصرفاً إلى (مُخلِّص)، إذ أنها تُناسب النبي محمد صلى الله عليه وسلم، مُستندًا إلى بعض الأحاديث النبوية التي تشير إلى مساعدة النبي للناس وتخليصهم من الكفر والنار.⁽¹⁸⁾

ويعود الجعفري ليناقد نص يوحنا [19-15/14] "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطاً آخر، يثبت معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لم يطق العالم أن يقبلوه، لأنهم لم يعرفوه، ولست أدعكم أيتامًا، لأنني سأتيكم عن قريب".⁽¹⁹⁾

مؤكدًا مرة أخرى على صحة ترجمته على أن معنى كلمة فارقليط المخلص مُعتمدًا - كما يقول- على أقوال النصارى، مُناقشًا قولاً لبعضهم يرى أن معنى الكلمة هو: الألسن النارية أو الروح، مُسقطًا هذه المعاني غير مُعتبر لها.

كما اعتبر الجعفري قول يوحنا "والفارقليط روح القدس الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كل ما قلت لكم" وصفًا وشهادة من المسيح للنبي محمد، دون أية مناقشات⁽²⁰⁾ لما هو من ظاهر في نص الفقرة من اعتبار الفارقليط (روح القدس)، وهو أحد الأقانيم الثلاثة عند النصارى.

وحينما يتناول الجعفري نص يوحنا [26،27/15] بالتأويل، يُركز تحليله على مقطع "روح الحق الذي من أبي هو يشهد لي" مُستخرجًا من القرآن⁽²¹⁾ النصوص التي تؤكد على شهادة النبي محمد للمسيح⁽²²⁾ وبخصوص نص يوحنا [16 - 7/16]، ويركز الجعفري على بعض المقاطع التي تصف الفارقليط، وهي: "فإذا انطلقت أرسلته يوبخ العالم"، ويفسر الجعفري الجملة الأولى تفسير موجزًا يقول فيه: "وهذا صحيح من حيث إن مجيء

(18) راجع : (ص 701، 702، 703)

(19) انظر : (ص 704، 705)

(20) انظر : (ص 706)

(21) حيث يذكر الآيات القرآنية، من سورة المؤمنون آية رقم (50)، وسورة النساء آية رقم (171)

(22) انظر (ص 708)

المصطفى موقوف على ذهاب المسيح⁽²³⁾ وهنا لا يُعطي أية أهمية لعبارة "أرسلته"، والتي يتمسك النصارى حين تأويلهم لهذا النص في كتب الجدل بها، معارضين بها أغلب التفاسير الإسلامية⁽²⁴⁾ لنصوص يوحنا.

ثم يعود الجعفري مرة أخرى ليناقد التاويل المسيحي القائل بأن الفارقليط (الألسن النارية) معتبراً أن عقول النصارى دوماً تحيد عن سواء السبيل.

نعثر على موقف مُشابه لموقف الجعفري عند ابن تيمية؛ فقد أولى هذه البشارة تحديداً عناية وأهمية تفوق عنايته واهتمامه بالبشارات الأخرى، وعل ذلك عبد الراضي عبد المحسن بأنها تتميز بخصوصية تنفرد بها عن غيرها⁽²⁵⁾.

على الرغم من غياب التحليل الدقيق لما ورد في النصوص السابقة التي استشهد الطبري بها، فإنه يظل متميزاً بتلك النقول التي اقتبسها وردها من بعده من كتبوا في الباب نفسه، وينفرد باستخدامه هنا لحساب الجمل مرة أخرى، إذ يرى أن "الفارقليط" سرّاً عجبياً، فإذا حسبه الحاسب يجده مساوياً لما يجتمع من حروف "محمد بن عبد الله النبي الهادي" أو "محمد رسول حبيب طيب"، وإن كانت القيمة العددية للأحرف طارحة احتمالات أخرى بخلاف ما رجحه الطبري، فإنه يعضد رؤيته بنص يوحنا⁽²⁶⁾، فإن قال قائل: قد يمكن استخراج هذا الحساب بغير هذه الأسماء لم يكن ذلك له، حتى يُحضرنا من شهادة من هو كالمسيح في قوله: "إن الفارقليط الذي يرسله روح الحق، الذي يرسله أبي باسمي، هو يعلمكم كل شيء" ولن يجد إلى ذلك سبيلاً⁽²⁶⁾.

يستخرج الطبري نصاً آخر من كلام يوحنا، من رسائله، يؤكد به على صدق النبي محمد، وأنه من عند الله أتى "يوحنا التلميذ في رسالته في كتاب فراكسيس⁽²⁷⁾، وهو أخبار الحواريين: لا تؤمنوا يا أحبائي بكل روح، بل ميزوا الأرواح التي من عند الله، واعلموا أن كل روح يؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء وكان جسدياً، فهو من عند الله، وكل روح لا يؤمن بأن المسيح كان جسدياً، فليس من عند الله"⁽²⁸⁾.

(23) انظر (ص 711)

(24) راجع تخجيل محرفي الإنجيل لابن العسال (ص 122، عين شمس سنة 1927م)، وقارن: (أبحاث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين لنقولا غريبال ط مصر سنة 1913م)

(25) راجع: د. عبد الراضي عبد المحسن "منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى دراسة علمية من خلال جهود ابن تيمية" ص 334 – 346 ط مكتبة التربية الإسلامية القاهرة سنة 1992 م. وقارن ابن تيمية "الجواب الصحيح" 3 / 171 – 183

(26) انظر "الدين والدولة" ص 119، 120

(27) في الطبقات القديمة للعهد الجديد كانت تسمى أعمال الرسل بـ(الأبركسيس) أي أخبار، انظر الترجمة العربية للكتاب المقدس لسنة 1831 م، حيث يحتوي الأبركسيس على (27) إصحاحاً.

(28) انظر رسالة يوحنا الأولى 4 / 1 – 3

آمن النبي صلى الله عليه وسلم بأن عيسى المسيح جسداني، إنسان، وأنه روح الله وكلمته ألقاها على مريم؛ فروح النبي إذن روح صادقة بارّة من عند الله.⁽²⁹⁾

لا يحمل النص السابق أية بشرى بالنبي محمد؛ فلا هو نص رامز يحتمل التأويل، ولا يعد نصًا ميسيانياً يحمل نبوءة بالآتي، ويجري في نسق عادي، لكن الطبري أراد أن يبرهن على صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم من خلاف كلام يوحنا، وصدق ما اعتقده في المسيح، ويلمح إلى فساد اعتقاد النصارى فيه، إذ عقّب على صدق اعتقاده النبي بقوله: "وروح من زعم أنه غير جسداني ولا إنسي من عند غير الله".⁽³⁰⁾

وعلى الرغم من أن النص لا يحمل بشارة، فقد نقله الجعفري عن الطبري، بنصه وتأويله السابق، وزاد أن اعتبر أن المشار إليهم في قول الطبري أن الروح التي لا تؤمن بجسدانية المسيح ليست من عند الله، هم اليهود " فلم يؤمنوا بالمسيح ولا كثير من أهل ذلك الزمان، واليهود إلى الآن في انتظار مسيح آخر [....] وقد كذب النصارى بقوله هذا في دعوى ربوبية المسيح".⁽³¹⁾

يبدو كلام الجعفري مبالغًا فيه بعض الشيء بخصوص أن يوحنا يُكذب النصارى بنصه السابق في دعواهم ربوبية المسيح، متابعًا الطبري في أن من يزعم أن المسيح ليس جسدانيًا، فهو من عند غير الله؛ لأن يوحنا نفسه هو من جعل الكلمة هو الله ثم تجسد (الكلمة) وصار جسدًا وحل بيننا.⁽³²⁾

وفي الفقرة نفسها التي يستشهد بها الطبري يصرح بقوله: " بهذا أظهرت محبة الله فينا، أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به، في هذا هي المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله، بل إنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا"،⁽³³⁾ فيستبعد أن يشير يوحنا في أول الفقرة إلى فساد عقيدة النصارى في المسيح وصحة عقيدة المسلمين، ثم يثبت في آخرها ما ينفي ذلك من معتقده في الصلب والكفارة والفداء.

⁽²⁹⁾ انظر "الدين والدولة" ص 120

⁽³⁰⁾ السابق نفسه.

⁽³¹⁾ انظر "التخجيل" ص 717

⁽³²⁾ انظر يوحنا 1 / 1، 14

⁽³³⁾ انظر رسالة يوحنا الأولى 4 / 9، 10

يضيف الطبري نصاً آخر إلى نصوص البشارات، يعثر فيه على نبوءة خاصة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو: "وقال شمعون: الصفا⁽³⁴⁾ رأس الحواريين في كتاب فراكسيس: إنه قد حان أن يبتدئ الحكم ابتداءً من بيت الله".⁽³⁵⁾

فالبيت الذي يبدأ الحكم الجديد فيه هو مكة، ويستنكر الطبري على من يقول: إن المقصود بالبيت هو بيت المقدس، لأن المسيح أخبر أنه لا يترك في بيت المقدس حجراً على حجر، حتى ينسف ويبقى على الخراب إلى يوم القيامة، وعليه فإن الحكم الجديد الذي ذكره الحواري بطرس هو دين الإسلام وحكمه، ويدعم الطبري تفسيره بالإحالة على بشارة صفيانا ودانيال.⁽³⁶⁾

ويؤكد الجعفري تفسير الطبري متابِعاً له إذ يقول: "ولا يحسن تنزيل هذا الكلام على بيت المقدس، لأن حكم ذلك كان مستمراً عند صدور هذا الكلام من شمعون، ولا يليق إلا بشرع جديد مبتدأ، ولا يقال فيما كان مستمراً أنه قد حان أن يبتدئ".⁽³⁷⁾

يتابع الطبري استخراج البشارات من نصوص العهد الجديد، فيجد في نص لوقا (35/22 – 36) بشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم والإسلام، قال لوقا: "إن المسيح قال لتلاميذه: إني كنت قد أرسلتكم وليس معكم كيس ولا ترمال [يعني به المزود] ولا خُف، فهل ضرركم ونقصكم ذلك شيئاً؟ قالوا: لا. قال: أما الآن فليشتر من لم يكن له كيس كيساً ومن لم يكن له ترمال مزوداً، ومن لم يكن له سيف فليبع ثيابه وليشتر به لنفسه سيفاً".⁽³⁸⁾

رأي الطبري في هذا النص إشارة إلى حدث متجدد، وليس أمراً مباشراً من المسيح لتلاميذه، إذ إن سنة المسيح التي دعا إليها هي المسالمة والمحبة والاستسلام والانسلاخ، لا حمل السيف، يدل على ذلك قول المسيح لشمعون: "اغمد السيف، فإن من سلَّ سيفاً قُتل بالسيف".⁽³⁹⁾

وعلى ذلك، يصبح أمر المسيح نبوءة عن حال آخر، وشريعة أخرى ستأتي وتحمل السيف، وليس ثمة تناقض بين قولي المسيح، وإنما تعبير عن حكيمين مختلفين حكم أمته وحكم أمة الإسلام.⁽⁴⁰⁾

⁽³⁴⁾ يدرج شمعون الصفا ضمن الحواريين المتمثلين بدين السيد المسيح، ولشمعون عدة أسماء (بطرس – كيفا – كيفا – سمعان) وسمعان كلمة عبرية يقابلها شيمون بالسريانية التي هي شمعون بالعربية، الملقب بطرس، والصفا كلمة عربية تعني: الحجر الصلب الأملس، كما جاء في كتاب العين، راجع "شمعون الصفا [بطرس] بين المسيحية والإسلام" ص 13، 15 لعلي داود، ط دار الهادي، بيروت سنة 2002 م.

⁽³⁵⁾ انظر "الدين والدولة" ص 120، وقارن رسالة بطرس الأولى 17/4، إذ يرد النص عنده في إطار موعظة منه للناس لأن يتمسكوا بتعاليم المسيح.

⁽³⁶⁾ السابق نفسه.

⁽³⁷⁾ انظر "التخجيل" ص 717، 718.

⁽³⁸⁾ انظر "الدين والدولة" ص 121.

⁽³⁹⁾ انظر (متى 26 / 51 – 52) وقارن (مرقس 14 / 47).

⁽⁴⁰⁾ راجع الشرفي "الفكر الإسلامي" ص 54.



MominounWithoutBorders



@ Mominoun_sm



Mominoun

الرباط - المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هاتف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com